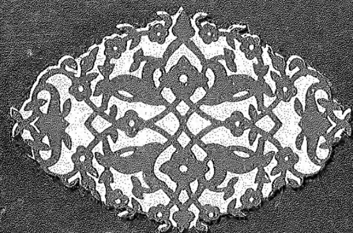
تراثنا المخطوط

من التأليف إلى الوراقة

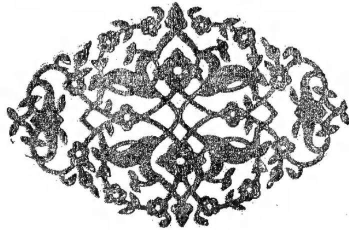


للدكتور علي الخطيب

هدية مجلة الأزهر
المحرم ١٤٠٤ هجرية

تراثنا المخطوط

من التأليف إلى الوراقة



للدكتور علي الخطيب

هدية مجلة الأزهر
المحرم ١٤٠٤ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحكيم العليم الذى أجلى ــ فى الاسلام سبل العلم مناطا بالدليل فقال للمنكرين :

« هل عندكم من علم فتخرجوه لنا
ان تتبعون الا الظن
وان أنتم الا تخرصون »(١)
« ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به
فانما حسابه عند ربه
انه لا يفلح الكافرون »(٢)
« بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم »(٣)
« قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله
لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض
ومالهم فيهما من شرك
وماله منهم من ظهير »(٤)

---

(١) الانعام ١٤٨ .
(٢) المؤمنون ١١٧ .
(٣) الروم ٢٨ .
(٤) سبأ ٢٢

« يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة
فتصبحوا على مافعلتم نادمين »(١) ٠

فالمسلم لا ينزع عن هوى ، ولا يسترشد بفضول ، وانما يؤدى عن علم ، ويهدف الى حقيقة ٠

وأصلى وأسلم على خاتم النبيين ، أعلم خلق الله أجمعين سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ صاحب الكلمة الجامعة ، والحجة الدامغة ، والقول الفصل ٠

حدثنا أستاذنا العلامة الشيخ عبد المتعال الصعيدى ــ رحمة الله عليه ــ أن رجلا جاء الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلما عرض عليه الاسلام قال ــ لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم :

أمهلنى شهرا !
فقال عليه الصلاة والسلام :
اذهب فلك ثلاثة »
أو كما قال ــ عليه الصلاة والسلام :
وما يضير رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ

---

(١) الحجرات ٠

والحق معه ، من هذه المدة صغرت أو كبرت مادام البحث عن الحق هو ــ فى ذاته ــ المراد ٠٠ ؟! والحق فى جانبه صلوات الله وسلامه عليه ٠

العلم ــ على هذه الذروة من طلب الحق واستبانته هو الذى دفعنى الى تقديم هذا البحث هدية لمجلة الأزهر ، أهديه ــ من خلالها ــ الى قراء مجلة الأزهر ، لا أبتغى عليه أجرا من أحد الا الله ــ عز وجل ــ وقد أرجو منه أحد أمرين :

أولهما : ماراعنى وروعنى من اقدام بعض المثقفين حين يقرأ فى كتاب مطبوع فقرة أو أكثر منسوبة لامام جليل فيراها ــ من جانبه ــ خارجة على ما ألف من نصوص الدين ، فيذهب يقدح فى الامام أو العالم بكل ما وسعه ظنا منه أنه يدفع عن الدين ، ويؤدى مايجب عليه نحوه ، يفعل ذلك ، وهو لا يدرى : أى رحلة قطعها هذا الكتاب اليه منذ خطه مؤلفه حتى أخرجته المطبعة ٠

ولسوف يرى القارىء هذه الرحلة ويتابعها فى (تراثنا المخطوط من التأليف الى الوراقة) وسيجد أن عليه أن يحترس ألف مرة ومرة قبل أن يقدم على النيل من مؤلفينا وأئمتنا الكبار ، ولاينقد ــ اذ ينقد ــ

الا بعد أن يتأكد من صدور النص المنقود من صاحبه فعلا .

ثانيهما : أن ينتفع بهذا البحث أبناؤنا محققى التراث بما يجدون فيه من خطأ ينبغى متابعتها حتى تكون الريادة سليمة والعمل صادقا .

والله أسأل أن ينفع بهذه الهدية ، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم .

د/ على الخطيب

المدينة المنورة

١٤٠١ — ١٣٨١

حمامات القبة القاهرة

فى ذى القعدة ١٤٠٣ هـ — أغسطس ١٩٨٣ م

الفصل الأول

المخطوط

معنى مخطوط — عصر المخطوطات — الاسلام والعلم — أول المخطوطات الاسلامية وما تلاه — كوارث التراث — اهتمام الغرب بالتراث الاسلامى العربى ودراسته .

معنى مخطوط :

١ — نعنى بـ (المخطوط) ما قابل (المطبوع) فالمخطوط كل مؤلف دون بخط انسان ما . وفى منزلته :

أ — ما يصور منه بآلة تصوير .

ب — والمدون بخط الآلة الكاتبة .

فأى الثلاثة لا يعتبر كتابا مطبوعا فى عرف الناس ، ولا فى الأوساط العلمية . وقد جرى استخدام لفظ «مذكرات» على اللون الأخير منها فى كثير من الجامعات العربية .

ومادام المخطوط مؤلفا ، فيعنى ذلك أنه يحتوى مادة علمية لفن من الفنون الانسانية ، سواء عثرنا عليه تاما أم فاقدا بعض أجزائه .

وليس بلازم أن يكون المخطوط مدونا بخط مؤلفه ، بل يندر جدا أن نعثر على مؤلف من هذا اللون ، لكننا نعثر عليه عادة مدونا بخط تلميذ ، أو صديق أو غيرهما مما سنبينه فى هذا البحث ، لذا أقصينا من التعريف كلمة (خط مؤلفه) واقتصرنا على تحديد الواقع .

ونحن هنا نعرض من أمر المخطوط ما يستقيم معه هذا البحث ، فلسنا فى مقام تحقيق المخطوطات فذلك شأن الدراسات العليا .

عصر المخطوطات :

٢ — ولقد مرت الانسانية بعصور ثلاثة أوسطها عصر : (المخطوطات) وهو العصر الفاصل بين (ماقبل التاريخ) وعصر (الطباعة)(١) فمنذ اكتشف الانسان

(١) **كان اختراع الطباعة الأخير فى القرن الخامس** عشر على يدى نجار المانى يدعى يوحنا جوتنبرج ، **وعرفتها بعض البلاد العربية فى القرن الثامن عشرفقد نقلت الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت مطبعتين : عربية وفرنسية ، ثم أنشأ محمد** على مطبعة بولاق بمصر عام ١٨٢١ . وهذه المطبعة **نشأت اسلامية عربية خالصة ، وامتازت بنشر عيون** التراث العربى والاسلامى عكس التى انشأها بعض الاوربيين عام ١٨٤٨ م ببعض البلاد العربية ، فقد انشئت لتكون معول هدم وتفريق .

(طريقا ما) لتسجيل آثاره خطا خطواته الأولى نحو مدارج الحضارة ، ثم توصل فريق شرقى منه الى اكتشاف الورق ، فبدأت (المخطوطات) تدون فى بقاع شتى من العالم ، وكان الشرق أغزر ثروة بالمخطوطات من الغرب ، فهذا الأخير لم يكن له الا تراث ثقافى ضئيل ، حتى ليقول دكتور فرانتز روزنتال :

« انه لم يكن عند العلماء الغربيين سوى عدد محدود من الأفكار »(١) .

دفع الاسلام :

وجاء الاسلام مسخرا للانسان مافى السموات ومافى الأرض ، ولم يسخره لشىء فيهما ، فحرر فكره من الخوف ، وحرر قلبه من الذل ، وأطلقه ليرى فى الكون آيات للعالمين يستفيد بها قوم يعقلون ، فليس يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، فالعلماء أرفع درجة وأهل أمانة يؤدون العلم للناس ولا يكتمونه ، فمن كتم علما ألجم يوم القيامة بلجام من نار ، ولا على العالم — اذا اجتهد — أن يخطىء ،

(١) **د. فرانتز روزنتال — مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى ص ١٢ دار الثقافة بيروت ١٩٦١ م .**

فحسبه صلاح النية وحب العمل ، والاخلاص فيـه ، فان أصاب فله أجران وان أخطأ فله أجر ، وكلما ازداد المرء علما زاد علمه بربه وبقدرته المعجزة ، فزاد ايمانه بالله ، وأيقن بضعفه فتطامن خشية له ، قال تعالى :

« انما يخشى الله من عباده العلماء ان اللـه عزيز غفـور »(١) •

وقال رسـول الله ـ صـلى الله عليـه وسـلم : « العلماء ورثة الأنبياء » وحث الناس على طلب العلم فقال ـ عليه الصـلاة والسـلام ـ : « طلب العلم فريضة على كل مسـلم » • وقال ـ صـلوات اللـه وسلامه عليه : « ••• من سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له به طريقا الى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمـة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده •••

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ :
من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه • وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى طلبة العلم :

(١) فاطر (٢٨) •

« انه سيأتى بعدى قوم يسألونكم الحديث عنى ، فاذا جاءوكم فالطفوا بهم وحدثوهم وفى رواية :
« انهم سيأتونكم من أقطار الأرض ، يتفقهـون فى الدين ، فاذا جاءوكم فاستوصوا بهم خيرا » •

وخطب ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال :
ومابال أقوام لايفقهون جيرانهم ولا يعلمومهم ، ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم •
ومابال أقوال لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ، ولا يتعظون •

والله ليعلمن قوم جيرانهم ، ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم ، وليتعلمن قـوم من جيرانهـم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم العقوبة » •
وقال ـ عليه الصلاة والسلام :
« ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » •
وليس فى هذه الأحاديث موضوع(١) •
ولقـد كان لمنـزلة العلم السامية فى الاسـلام ، ولترغيبه الفذ الفريد فى التعلم آثارهما الطيبـة فى

(١) راجع تخريج هـذه الاحاديث للدكتور محمد عجاج الخطيب ـ لمحات فى المكتبة والبحث والمصـادر ص ١٧ ـ ٢٣ • (١٣٩٥ ـ بيروت) •

المجتمع الاسلامى حتى كادت المعرفة تنحصر فى أرجائه . فترة العصور الوسطى كلها ، فكانت أرض الاسلام مشرقة به ، بينما خيم الجهل بكل ظلماته غاسقا اذ وقب على أكثر بقاع العالم القديم التى لم تلتمس الهدى على أيدى المسلمين ، وفاض النور ساطعا بالعلم والايمان على أرض أشرقت بنور ربها من حدود الصين شرقا الى النصف الجنوبى من بلاد (الجول) غربا(٢) .

أول المخطوطات الاسلامية وما تلاه من تأليف وترجمة

يعتبر القرآن الكريم أول مخطوط اسلامى عربى ثم أذن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لبعض أصحابه رضوان الله عليهم بكتابة حديثه — عليه الصلاة والسلام،فاحتفظ أكثر من صحابى بمخطوطات فى بيته ، فكان عند أبى هريرة ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن عباس وعلى بن أبى طالب وأسماء بنت عميس — رضى الله عنهم — مخطوطات يزيد بعضهم على بعض . وهى مخطوطات جمعت شيئا من حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم . وكان لعبد الله بن عمرو بن العاص كتبا تجمع آثارا

(١) هى فرنسا — حاليا .

من حديث رسول الله ، وأخرى من أمم سابقة ، وأعد بعض الصحابة — رضوان الله عليهم ، صناديق لهذه المخطوطات ، ويعنى هذا أن المكتبات الخاصة نشأت مبكرة فى صدر الاسلام(١) .

ويشير ابن عبد الحكم فى كتابه : (فتوح مصر وأخبارها) الى أن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — كان يضع عهود الدولة فى صندوق ، وهذا يعنى أن الوثائق السياسية الأولى — الى جانب غيرها ، وهى مخطوطات على جانب خطير من الأهمية — كانت تحظى بعناية القوم وحفظهم ، حتى ان رواية بموطأ الامام مالك (٩٣ — ١٧٩ هـ) رضوان الله عليه تذكر صراحة أنه قرأ رسالة عمر فى الزكاة الى عماله .

لقد نشأ النشاط العلمى مبكرا فى صدر الاسلام بواد خصيب لا تعوزه الامكانيات ، بل توفر له كل شىء ييسر له ثماره الطيبة فما أتى العهد الأموى حتى ظهرت الآثار العلمية مخطوطة بين مؤلف ومترجم :

فألف عبيد بن شريه لمعاوية — رضى الله عنه — شيئا من أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها .

(١) انظر المرجع السابق ص ٣٢ ، ٧٣ .

والف وهب بن منبه كتاب التيجان فى ملوك حمير ، وطبع الكتابان عام ١٣٤٧ فى « حيدر أباد » .

وألف زياد بن أبيه — لابنه — كتابا (فى مثالب العرب) .

ووضع يونس بن سليمان كتابا فى الأغانى ونسبتها للمغنين .

وألف خالد بن يزيد بن معاوية شيئا فى الطب والكيمياء ، وترجم له شىء من علوم اليونان(١) .

ثم تفجر النبع عن جهود المسلمين فى شتى نواحى المعرفة ، مما جعل الأمة الاسلامية أغنى الأمم بما لها من تراث علمى يعجز عنه الحصر ، تراث تناول علوم الدين ، واللسان ، والرياضيات ، والفلك وغيرها .

يقول فون كرايمر فى : « وصفه النشاط العلمى عند المسلمين » .

« ان أعظم نشاط فكرى قام به العرب يبدو لنا جليا فى حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم ، فانهم كانوا يبدون نشاطا واجتهادا عجيبين حين يلاحظون ويمحصون وحين يجمعون

(١) انظر للاستاذ عبد السلام هرون — تحقيق النصوص ونشرها ص ١٢ ط ثانية مطبعة المدنى ١٣٨٥ .

ويرتبون ما تعلموه من التجربة ، أو أخذوه من الرواية ...... وبصفتهم أصحاب ملاحظة دقيقة ، وبصفتهم مفكرون مبدعون ، فانهم قد أتوا بأعمال رائعة فى حقلى : الرياضيات والفلك ، وللسبب ذاته نجح العرب فى التشريع ، وفى وضع قواعد اللغة من صرف ونحو فى شكل شامل محكم »(١) .

لذا كان للمسلمين سيل دفاق من المخطوطات ، فقد صار لكل علم فنون تتبعه وتخصه ، فالقرآن الكريم يصحبه علم الرسم والقراءات والتفسير ، وأسباب النزول .

والحديث يصحبه مصطلح الحديث ، (الدراية والرواية) ، والجرح والتعديل ... الخ .

والفقه يصحبه علم الأصول ، والسياسة الشرعية .

واللغة يتبعها النحو والصرف .. والأدب .. الخ .

كوارث التراث :

٣ — ان كوارث عدة أصابت التراث الاسلامى العربى ونالت منه :

(١) روزنتال ص ١٥ .

أ ــ فأعداء الاسلام فى الشرق والغرب عكسوا حقدهم المرير وجهلهم البغيض وتخلفهم الزرى على المخطوطات الاسلامية العربية فأبادوا ــ فى غفلة لاهية من بعض حكام المسلمين ــ أطنانا من هذا التراث باحراقه تارة ، واغراقه أخرى •

فغارات التتر والمغول المتتابعة على العالم الاسلامى بقيادة جنكيز خان ، وتيمورلنك ، وهولاكو كان لها أثرها السيء على هذه المخطوطات حتى انه عندما انهارت بغداد تحت وطأة هولاكو عام ٦٥٦ هـ ــ ١٢٥٨ م ألقيت المخطوطات بنهر دجلة القاء ، أقام قنطرة فى النهر اسودت منها المياه حولها لفرط ماانتشر من مدادها ولم تكن دمشق بأحسن حالا من بغداد ، فلقد تركها تيمور لنك تشتعل ثلاثة أيام أبادت منها الأخضر واليابس وأتت على خزائن كتبها •

وعندما انحسرت ظلال الحكم الاسلامى بالأندلس وتمكن النصارى منها أمر المطران خمينس عام ٩٠٥ هـ ١٤٩٣ م ، فجمعت مخطوطات كثيرة من سائر بلاد الأندلس ، وسيقت الى أكبر ميادين غرناطة حيث احتفل المطران باحراقها •

ثم كانت السرقة فانتهب الأعداء ما لا يحصى من

هذا التراث ، الذى ظهر بعضه فيما بعد ــ بأمهات دور الكتب الغربية •

ب ــ كذلك أتت النار قضاء وقدرا على مكاتب عامة وخاصة فى الغرب والشرق ذهبت بدورها بجانب من هذا التراث ، نذكر على سبيل المثال حريقا بمكتبة الاسكوريال عام ١٦٧١ م • سلم منه نحو ألفى مجلد، وهلك سائرها •

ويذكر رجال « الجرح والتعديل » أن مكتبة ابن لهيعة المحدث احترقت بالقاهرة ، وكان احتراقها أحد الأسباب التى جعلت بعض العلماء لا يقبل حديثه بعد احتراق كتبه •

ج ــ وكانت الفتن الداخلية وبخاصة مادار منها حول « الصراع على الحكم » ، فترة سطوة الأتراك على الخلافة العباسية ، وانقسام الخلافة الى دويلات من العوامل التى كانت سببا فى تبديد كثير من التراث، ويلاحظ المتصفح للجزء التاسع من تاريخ الطبرى طبع دار المعارف أنه يكاد يسيل دما من حوادث عدة من هذا القبيل كان المغضوب عليه فى احداها عرضة التنكيل به وانهاب داره ، ثم القضاء عليه •

د ــ ونضيف الى ما تقدم رغبة بعض المؤلفين

الراسخين الى مواراة مؤلفاتهم ، ونجحوا ــ فعلا ــ فى اخفائها تماما فلم يتداولها الناس من بعدهم(١) .

وبعد همود هذه الكوارث ، وبعد النشاط الكثيف الذى قام به أفراد من العرب ، ثم بعض الحكومات العربية تبين أن جما كبيرا جدا من مخطوطات الفلك والرياضة خاصة قد أبيد أو اختفى خفاء لا ظهور بعده .

وخلاصة القول :

أن أعداء المسلمين ، الى جانب الفتن الداخلية التى دفعت من أجل القضاء على الخصوم كل جهول غشوم عدو مبين للعلم والعدل والحرية ، الى الرغبات الشخصية ، ثم الآفات الطبيعية التى أهلكت بدورها جانبا من المخطوطات .

---

(١) راجع لابن الجوزى ــ صيد الخاطر ص ٥٨ و١٠٦ و١٦٤ دار الفكر بدمشق ط ثالثة ١٣٩٩ــ١٩٧٩ .

ويذكرنا ذلك بالشاعر الاسكتلندى جون بريكتريدج أشهر شعراء اسكتلندا الذى قام باحراق أعماله خلال فترة مرضه حتى لا تبقى من أشعاره قصاصة واحدة بعد وفاته .

انظر عكاظ العدد ٥٤٦٣ الجمعة ١١ رجب ١٤٠١ ــ ١٥ ــ ٥ ــ ٨١ ص ١٨ ع ٤ .

كل ذلك أدى الى ضياع ثروات هائلة من مخطوطات التراث الاسلامى العربى .

اهتمام الغرب بالتراث الاسلامى العربى ودراسته :

مرت بنا فى الفقرة السابقة ألوان من الأسباب التى عصفت بالمخطوطات الاسلامية والعربية ، فأتت على شطر كبير منها فتقلصت مكانة الخزائن العامة التى تبوأت عصر ازدهار الحضارة الاسلامية مكانا مرموقا فى العواصم الاسلامية فى الهند وتركستان وسمرقند ومصر والعراق ، وسوريا واليمن وغيرها شرقا وغربا مجاورة مراكز علمية عظيمة فى بعض هذه البلدان : كالأزهر الشريف فى مصر والزيتونة فى تونس والقرويين فى المغرب ، ثم حلت النكبات شرقا وغربا حتى انتهى الأمر الى الحال التى مر بنا ذكرها .

ولا يفوتنا أن الحضارة الاسلامية وقت كانت مصحوبة بقوة قادرة ــ باذن الله ــ على حمايتها قد بهرت الغرب الذى كان مطبق الظلمات ثم بدأ :

يلتمس العلم على يد المسلمين .

ويعمل على تدمير قوتهم ما أمكن .

فظهرت فيه حكومات اهتمت بالمخطوطات العربية

والاسلامية وبدأت تسعى اليهـا ، وترسـل الوفود لشرائها من العواصم الاسلامية .

فأرسلت ايطاليا فى القرن العاشر الميلادى وفودها من أجل الحصول على جزء من هذا التراث لاسيما وأن أحد (باباواتها) سلوستر الثانى الذى رأس أسـقفية الفاتيكان فترة ٩٩٩ — ١٠٠٣ م تخرج من أحد معاهد أشبيليه بالأندلس ، وكان حينئذ راهبا يسمى جرسرت آلت اليه البابوية فيما بعد فأمر بانشـاء مدرسـتين عربيتين احداهما فى ايطاليا مقر عمله والثانية فى بلدة (ريمس) فى فرنسا وطنه .

وتلت ايطاليا فرنسا فأرسلت وفـودها فى القـرن الثانى عشر للغرض نفسه ، ثم أدلت انجلترا بدلوها فى الميدان فأرسلت وفـودها الى البـلاد العربيـة والاسلامية لاقتناء المخطوطات العلمية وشرائها منها .

اتسعت سياسـة اقتناء المخطـوطات الاسـلامية والعربية شيئا بعد شيء ، ونلاحظ أن هذا الاقتناء كان يوازيه عوامل ضعف مستمرة فى البـلاد الاسـلامية والعربية تحت ظروف شتى من الصراع علـى الحكم والبعد عما أقره الكتاب العزيز والسنة المطهرة .

وقد استطاع الفرنج أن يخطوا بمراجـع نادرة وعزيزة مما ألفه العرب فى الفقه والأدب واللغة ،

والطب والفلسفة والرياضيات والكيمياء والطبيعـة (الفيزياء) وزادوا فى ذلك باستمرار .

فاذا أضفنا الى هذا الباب من شراء الكتب بابا آخر مد الغرب بالتراث الاسلامى العربى مصـدره طلبـة العلم الغربيين الذين توافدوا على المراكز العلميـة فى البلدان الاسلامية . وحملوا — عنـد رجـوعهم الى أوطانهم ما استطاعوا الحصول عليه منها ، ثم ما حصل عليه الفرنج بالقهر الأليم الذى أنزلوه بالمسـلمين فى الأندلس ، وانتهبوا من بيوتها ما انتهبوا علمنـا أن المكتبة الاسلامية العربية فى الغـرب تكـونت — فى الغالب — من مصادر ثلاثة وشملت كل أنواع التراث الاسلامى ابتداء من الكتاب العزيز فالسنة المطهـرة الى شتى ألوان المعرفة التى زخرت بهـا دور العلم ، وأبدعتها عقول العلماء المسلمين .

وأصبح فى الغرب دور ثقافية معروفة حرصت على اقتناء المخطوطات الاسلامية ولازالت توليها عنـاية مستمرة .

ثم كان للغرب جهد مبكر فى الاستفادة من التراث الاسلامى العربى تجاوز الجمع الذى لازال مسـتمرا الى أمور منها :

أ — انشاء كليات ، أو أقسـام بكليـات لترجمـة

التراث العربى الى اللاتينيـــة ، فتأسست فى ايطـــاليا أقسام بأكثر من جامعة عنيت بالترجمة مثـــل جامعـــة (ساليرنو) وجامعة (باليرمو) ثم تلتهـــا فرنســـا فى جامعةبولونيا والسوربون، ثم انجلترا فى(أكسفورد)٠

ب ــ وكان الهدف من الترجمة دراسة هذه العلوم وتدريسها والاســـهام فى هـــذا المجـــال الى مـــدى (الأستاذية) فيه ٠

جـ ــ وتلا ذلك طبيعيا تحقيق ما استطاعوا من هذا التراث وطبعه مع مقدمات وجـــداول قيمـــة تعـــرف بمضمون الكتاب فى سهولة ويسر ٠

د ــ ثم أصبحوا يقدمون مؤلفات فيـــه ، بعضـــها ناضج مفيد الى أبعد حدود الافادة ، والبعض يشوبه ما يقتضى الحذر منه ٠

لكنهم ــ عـــلى أى حال ــ اســـتفادوا من التراث ويستفيدون ونرجو أن تكـــون بالجامعـــات العربيـــة كراسى متفرغة لجهد كهذا فلمثل هذا فليعمل العاملون٠

وقد ظهـــرت مؤلفات تتبعت ــ بقـــدر الامكان ــ فهارس هذه الدور الغربية (١) وسجلت أسماء ما بها من مخطوطاتاسلامية عربية ، وأشمل هذه المؤلفات:

---

(١) راجع د٠ محمد عجـــاج الخطيب ٥٣ ـ ٥٤
٥٥ ٠٠

تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٠

تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكينى ٠

خزائن الكتب العـــربية فى الخـــافقين لفيليب دى طرازى ٠

المخطـــوطات العربيـــة فى دور الكتب الأمريكيـــة لكوركيس عواد ٠

ونجد للدكتور محمد عجاج الخطيب دراسة شاملة فى اعداد هذه المخطوطات بمؤلفه (لمحات فى المكتبـــة والبحث والمصادر) وأشار الأستاذ عبد السلام محمد هرون الى بعضها فى كتابه (تحقيق النصوص ونشرها) وذكر عددها اجمالا فى العالم كله : شرقا وغربا فقال ص ٣٧ ٠

« وفى هذه المكتبات جميعا نحو ٢٦٣ مليون مجلد »

وينبغى أن نأخذ فى الاعتبار ــ الى جانب هـــذا ــ أن بعض المكتبات ليس لديها فهـــارس لمخطوطاتهـــا ، يذكر د٠ أكرم العمرى منها فى مذكرة له ص ٢ (مكتبة المدينة المنورة ، ومكتبات الهند ، وأفغانستان) ثم قال عن الأخيرة : لازالت مخطوطاتها تباع فى الأســـواق علنا ٠ أ هـ ص ٢ ٠

ولقد نشط كثير من العرب فى جمع شىء من هـــذه

المخطوطات من الغرب والشرق على السواء ، ثم أحست الدول العربية بما يجب عليها نحو هذا التراث، فأنشئوا بجامعة الدول العربية (معهد احياء المخطوطات) وصار من مهمته : جمع التراث وتصويره والعمل على طبعه ونشره والتعريف به ، مع اصدار نشرة دورية بما يجد له منها .

الفصل الثانى

تدوين العلوم والنسخ

التدوين المبكر وبعض أسبابه — طريقا التدوين — دقة المؤلفين ومراجعهم — أنواع التأليف — أسماء المؤلفين وعنوان المخطوط — موافقة الشيخ — النسخ وآدابه .

(أ) التدوين المبكر وبعض أسبابه :

صاحب التدوين المباشر كتاب الله العزيز منذ ابتداء نزوله ، فما تنزل الآية حتى يتولى كتابتها من حضر من كتاب النبى — صلوات الله وسلامه عليه — وكانوا نحو أربعين كاتبا ذكر ابن سيد الناس أسماءهم فى مؤلفه : (عيون الأثر) فى الجزء الأول منه .

وحظى بعض حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالتدوين فى عصره — بعد أن أباح رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ذلك لبعض أصحابه صلى الله عليه وسلم .

فكتبوا على أكتاف الابل ، والأضلاع ، وعلى اللخاف(١) ، والرقاع(٢) وعسب النخل ، ويذكر العلامة ابن حجر — رضى الله عنه — أن مصحف أبى بكر كتب على ورق ٠

الخط :

وكان الخط الكوفى هو الخط الغالب على أهل القرون الثلاثة الأول(٣) ، ويبدو أنه عمر أكثر من ذلك فى الأندلس ، فقد (كثرت المتعلمات والمتخصصات حتى أنه أجرى احصاء فى أحياء قرطبة التى تبلغ واحدا وعشرين حيا أيام ازدهار الخلافة فوجد أن (١٧٠) مائة وسبعين امرأة يجدن الخط الكوفى يكتبن به المصاحف وقد كان لعائشة القرطبية (٤٠٠ هـ) احدى كاتبات المصاحف المشهورات خزائن كتب كبيرة) (٤) ٠

وما من شك أن الخط الكوفى الذى سيطر زمانا

---

(١) حجارة بيض رقاق عراض ٠

(٢) قطع من الجلد يكتب عليها ، وتسمى الرق — بفتح الراء ٠

(٣) راجع للاستاذ عبد السلام هرون — تحقيق النصوص ونشرها ص ٢٥

(٤) د٠ محمد عاجج الخطيب ص ٤١ ٠

بدأت تزاحمه خطوط أخرى تدريجيا حتى آل الأمر الى ما هو عليه فى عصرنا هذا (١) ٠

تدوين العلوم :

كان اتساع الرقعة الاسلامية أحد عوامل دعت بضرورتها الى تدوين أكثر من علم ، فان اللحن الذى فشا بين أبناء الفاتحين من العرب دعا الى تدوين شيء من علم النحو أخذ فى الاتساع بعدئذ ، ثم كانت الفتن التى صاحبت الدعوة الى الحكم سببا فى ظهور الجرأة على حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأدى ذلك الى تدوين الصحيح ، ولقد ظل الخليفة عمر ابن عبد العزيز (يستخير الله أربعين يوما فى تدوين

---

(١) ظهر فى الشرق الاسلامى خط آخر بجانب الكوفى ووجدت له آثار بجانب الخط الكوفى حتى تطور فى المشرق الى ما هو عليه الان ، فظهر بجانب الكوفى الفارسى آل الأمر الى الخطوط الثلاثة) : الرقعة والنسخ والثلث وبجانبهم الان خطوط فنية أخرى كثيرة ، وكان فى المغرب الاسلامى خط قديم عرف بالخط الافريقى ، ثم ظهر الخط الاندلسى ، وكان أميل الى الاقتباس من الخط الفرنجى ، وغلب على الافريقى حتى فى شمال افريقيا ثم تطور الى الخط المغربى وعرف بذلك بعد أن ضاعت منه نضارته ٠

الحديث ، وخار (١) له الله ، فأذن لأبى بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم فى تدوين الحديث ، فدون ما كان يحفظه فى كتاب بعث به الى الامصار ، وكان أبو بكر هذا قاضيا وواليا على المدينة وتوفى سنة ١٢٠ (٢) .

ثم طما بحر التأليف والترجمة فى مختلف العلوم والفنون التى توصل اليها المؤلفون المسلمون بحكم حث الاسلام على العلم ، وسارت الترجمة من لغات شرقية الى العربية ، ومن اليونانية الى العربية جنبا لجنب حتى كانت تلك الثروة العلمية العظيمة التى مر ذكرها ، وصارت فى ذاتها مصدرا أوليا يمنح الغربيين تعريفا بعلمائهم القدامى ، حتى ان روزنتال أبدى أساه الشديد من امتناع العلامة البيرونى من ذكر أسماء بعض العلماء الغربيين لاقتناعه (أى البيرونى) (٣) بوقوع تصحيف شديد فى نقلها جعل ذكرها لا فائدة منه ، ورأى روزنتال أن عدم نقلها « شىء يؤسف له ، لأنه لو حاول ذكرها لنا

---

(١) جعل له فيه العين .

(٢) عبد السلام هرون ص ١١

(٣) أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمى فيلسوف . رياضى مؤرخ أقام فى الهند بضع سنين ومات فى بلده عام ٤٤٠ هـ ـ ١٠٤٨ م .

لكان لدينا الآن مصدر آخر للمعلومات عن الأسماء التى حفظها لنا ابن النديم فى (الفهرست) » (١) .

ب ـ طريقا التدوين :

كان للمؤلفين ـ فى تدوين مؤلفاتهم ـ طريقتان :

١ ـ كتابة مباشرة يقوم بها المؤلف نفسه .

وقد يكتب (مسودة) لكتابه ، ثم يعيد الكتابة مرة أخرى ، فتكون أرقى قبولا عنده ، وأتم لما يريد ، وعرفت النسخة التالية باسم (مبيضة) والأخيرة هى التى يرتضى المؤلف أن يخرجها للناس ، كما يقول شيخ المحققين الأستاذ عبد السلام هرون الذى يخبرنا أن من المؤلفات التى دونها أصحابها بأنفسهم وعثر عليها :

نسخه من (صحاح اللغة) للعلامة الجوهرى مؤرخة سنة ٣٨٣ هـ .

و (تقريب التهذيب) ، وهو فى رجال الحديث للعلامة أحمد بن على بن حجر العسقلانى سنة ٨٢٧ هـ .

---

(١) روزنتال ص ٧٠ .

ومجمع البحرين وجوهر الحبين لولد الكرمانى يحيى بن محمد بن يوسف الكرمانى .

٢ ـ املاء يرسله المؤلف فيكتب له كاتب وذلك :

بسبب ضرورة مانعة كحال أبى العلاء المعرى الذى كان ضريرا فلزمه أبو الحسن على بن عبد الله أبى هاشم المعرى وكتب له كتبه .

وقريبا منه أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، أصيب بالفالج (١) فكتب له أبويحيى زكريا بن يحيى وغيره .

وقد يملى المؤلف كتابه دون ضرورة :

(أ) فيملى على كاتب نظير أجر (٢) كما كان الحال فى املاء الفراء ـ رحمه الله ـ (كتاب الحدود) فى النحو ، أملى وتولى بعض الكتبة تدوينه ، أو يملى على تلاميذه ، وقد أملى ابن دريد كتابه (الجمهرة) ـ مرة بفارس وأخرى ببغداد ـ من حفظه .

---

(١) الفالج : شلل يصيب احد شقى الجسم .
(٢) الاجر يأخذه الكاتب .

ومن المتواتر عن الفراء أنه أملى كتبه كلها حفظا ، وكان بعضها فى المسجد .

وفى هذه الحال نحظى بعدة نسخ أولية مما سطره الطلبة .

(ج) وقد يكون مع الطلبة ـ حال الاملاء ـ زملاء للشيخ المؤلف يكتبون كما يكتب الطلبة ، فيحظون بنسخ من الكتاب .

دقة المؤلفين ومراجعهم :

وكان المؤلفون المسلمون معروفين بالدقة والأمانة والحذر ، فقد كانوا يعتبرون مؤلفاتهم خدمة للكتاب العزيز وتعريفا به ، فهى اما مستمدة من القرآن ، أو حياطة له ، أو تفسيرا فيه ، أو جمعا يعين على فهمه ، أو علما من علومه ، فكان القرآن مركز التأليف ، وكان بيانه هدف العلماء ، والامر كذلك فى (الحديث الشريف) كان التحرى فيه يبلغ الغاية ، فكانت أمانتهم المنبثقة عن دينهم دافعة لهم الى تلك الدقة والحذر .

وعندما طالع المستشرق مرجليوث شيئا من مناهج المسلمين فى هذا المضمار من كتابى (المعيد) و (التذكرة) قال : « انه لا مجال للشك

فى قيمة هذين المؤلفين لمن ينشد الدقة والامانة » (١).
وسترى فى آداب نسخ العلماء الكثير من التفانى فى خدمة العلم خدمة للاسلام .

لقد كانت الدقة والامانة ، بل والعطاء غير المحدود يبذله العالم المسلم لتوفير المادة العلمية على أنقى مستوى وأعظم ضبط حتى صارت مؤلفاتهم أمهات المصادر التى لا يستغنى عنها دارس ولا باحث فى أى مادة علمية سواء فى العلوم الشرعية ، أو العربية ، أو الطبية أو الرياضية والفلك .

وسعى المؤلفون الى تحقيق أصولهم بالاطلاع على المراجع فى وقت كان المرجع فيه عزيزا جدا ، فما كان هناك طباعة ، ولا ما يقاربها من تسهيل لاخراج النسخ التى تكفى الناس ، وانما كانت نسخ الكتاب — مهما قيل : انها كثيرة محدودة ، فما بخل المؤلفون بجهد ، ولا مال ، ولا سفر ، ولا اقامة بين القبائل العربية فى طول الجزيرة وعرضها يجمعون اللغة ويستقصون اللهجات استقصاء يثير الاعجاب .

ولم يكن النظر فى المرجع هينا ، فان المرجع — كما ذكرت — كان عزيز المنال وبعض المراجع كان له أكثر

---

(١) روزنتال ص ٢٧

من نسخة بخط المؤلف ، وزياداته ، أو ماكتبه تلاميذه مما يستدعى دراسة خاصة ، فما صرفهم ذلك عن جهد المراجعة ومتابعة النسخ ليحظوا بأعلى ضبط وأدق توثيق .

أنواع التأليف :

وعلى ضوء من دراسة الواقع يمكننا أن نتبين أن المؤلف كان ينظر فى عمله من وقت لآخر ، فيحدث فى (المسودة) — كما مر تغييرا بالزيادة أو النقص تبعا لما حقق من علم ، وما حظا من جديد ، لتكون (المبيضة) على خير ما يرضى أن يقدمه للناس .

وهذه ظاهرة مستمرة الوجود بين المؤلفين ، وقد أطلق عليها الاستاذ عبد السلام هرون — شيخ المحققين المعاصر ظاهرة (تكرار التأليف) وساق لها مثلا مما رواه الخطيب البغدادى — فى تاريخ بغداد — فقال :

« قال محمد بن الجهم : كان الفراء يخرج الينا ، وقد لبس ثيابه فى المسجد الذى فى خندق عبويه وعلى رأسه قلنسوة كبيرة ، فيجلس فيقرأ أبو طلحة الناقط عشرا من القرآن ، ثم يقول له : أمسك ، فيملي من حفظه المجلس ، ثم يجىء (سلمة) بعد أن ننصرف

نحن ، فيأخذ كتاب بعضنا فيقرأ عليه ، ويزيد وينقص ، فمن هنا وقع الاختلاف بين النسختين » (١) .

٢ — (أ) ومن المؤلفين من يقدم مادته العلمية فى أحجام مختلفة كما فعل الامام أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمى الطبرانى ، اذ جمع من أحاديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والآثار الجم الكثير ، وأعدها فى معاجم ثلاثة ، عرفت بالكبير ، والأوسط ، والصغير ، ومثله الامام السيوطى ، وكذلك فعل الامام أبو البركات الدردير فقدم متنا فى فقه الامام مالك ثم تولى هو نفسه شرحه ، وكذلك سلك هذا المسلك العلامة التبريزى ، فشرح الحماسة شروحا ثلاثة بعضها أوفر من بعض (٢) .

(جـ) وقد يشير المؤلف على أحد كتابة مؤلفه .

(د) ومن المؤلفين من أودع مؤلفه جزءا من كتاب ، أو كتابا أو أكثر لمؤلفين آخرين .

---

(١) والأمر ذاك فى كتاب لابى عمر الزاهد الفه ست مرات يزيد فى كل منها . انظر عبد السلام هرون ص ٢٧ — وراجع لرواية محمد بن الجهم الخطيب البغدادى — تاريخ بغداد ١٤/١٥٢ دار الكتاب العربى بيروت لبنان . وعبد السلام هرون ص٣٢ .

(٢) (انظر) عبد السلام هرون ص ٣٤ .

فأودع ابن أبى الحديد (١) فى (شرح نهج البلاغة) جزءا كبيرا من (كتاب المغازى) للواقدى (٢) ومعظم (كتاب العثمانية) للجاحظ (٣) .

وأودع البغدادى (٤) — فيما أودع بـ (خزانة الأدب) — « كتاب اللصوص » لأبى سعيد السكرى (٥) ، الى جانب غيره من كتب صغار . كذا فى تحقيق أستاذنا عبد السلام هرون .

وبعض المؤلفين حين فعل ذلك — كان دقيقا ، والبعض لم يلتزم الدقة ، فوقع فى أخطاء مما جعل الاعتماد على هذا النوع المدرج داخل غيره من مؤلفات كبرى ، عموما ، عملا غير دقيق ، فهذا المدرج أولى — فى نشره وطبعه الآن — الى الحصول على نسخ

---

(١) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين ابن أبى الحديد معتزلى ويبدو أنه شيعى توفى سنة ٦٥٥ هـ .

(٢) محمد بن عمر الواقدى مؤرخ عربى حجة فى التاريخ توفى بالعراق سنة ٨٢٣ هـ .

(٣) أبو عثمان بن بحر الجاحظ ، ولد ومات بالبصرة (١٦٣ — ٢٥٥) هـ .

(٤) عبد القادر بن عمر البغدادى ولد ببغداد ومات بالقاهرة (١٠٣٠ — ١٠٩٣) .

(٥) الحسن بن الحسين بن عبيد الله أبو سعيد السكرى اديب راوية مؤلف (٢١٢ — ٢٧٥) .

مخطوطة أخرى منه لتكون المقارنة بينها أدعى الى التصحيح الأقـــوم .

وللزيادات شأن آخر عدا ماتقدم ، فاذا كنا قـــد ألمحنا الى زيادات يقوم بها المؤلف نفسه ، ويجريها بيده فى أحوال (تكرار التأليف) فان زيادات أخـــرى يجريها غير المؤلف وقد تكون :

(١) باذنه ، فقد سمح الامام (١) السخاوى للقارىء اذاعثر على مراجـــع مما لم يره بالنســـبة لكتابه (القول) (٢) فعليه ـــ أى على القـــارىء أن يضيف الى نسخة الكتاب جميع الفوائد والتعاليق التى يجدها فى هذه المراجـــع شريطة أن يتأكد أن اضافاته لم يتنبه اليها المصنف .

(٢) ـــ وتكون بغير اذنه ، فقد حمل رجل نسخة من كتاب (النوادر) وهو مما ألفه الأصمعى (فوضعه بين يديه ، فجعل الأصمعى ينظر فيه ، فقال : ليس هذا كلامى كله ، وقدزيد فيه على ، فان أحببتم أن

---

(١) أبو الخير محمد بن عبـــد الرحمن السخاوى ـــ مصرى (٨٣١ ـ ٩٠٢) هـ .

(٢) هو كتاب (القول البـــديع فى أحكام الصلاة على الحبيب الشفيع) عليه الصلاة والسلام .

أعلم(١) على ما أحفظه منه وأضرب على الباقى فعلت، والا فلا تقرءوه .... فأعلم الأصمعى على ما أنكره من الكتاب ، وهو أرجـــع من الثلث ، ثم أمرنـــا فنسخناه له (٢) .

أسماء المؤلفين ، وعنوان المخطوط : ـ

(١) ـــ وتواجهنا ظاهرة هامة أمام اثنين وستين ومليونى مخطوط طوى الزمن عليها كثـــيرا من عمره وأوقعت بها العوادى كثيرا من غاراتها فاذا بنا أمام **نسخ تحمل اسم مؤلفها** ، **وتعنى بذكر تفاصـــيل مختلفة عنه** .

وأمام مخطوطات أخرى ضـــاعت منهـــا بعض أوراقها الأولى ، أو ورقة منها ، ولانجد بداخها ـــ على هامش أو حاشية ـــ أو بآخرها أية اشارة تدل على اسم مؤلفها من قريب أو بعيد .

وقد يسعد الحال فنجد شيئا من هـــذا المخطوط

---

(١) أعلم على كذا من كتاب وغيره : جعل عليه علامة، **والعلامة هى الاعلومة أى السمة وما ينصب فى الطريق فيهتدى به .**

(٢) الأزهرى ـــ مقدمة تهذيب اللغة ـــ وانظـــر عبد السلام هرون ص ٣٣ ، ٣٤ .

مضمنا كتابا لمؤلف آخر أودعه فى كتابه وأشار الى اسم مؤلفه وأكد نسبته اليه ـــ وقد لانعثر أيضا ، ومن هنا نجد بعض المخطوطات مجهولة المؤلف •

(٢) واذا كانت العوادى سببا مباشرا فى ضياع اسم المؤلف فثمة مخطوطات أخرى عثر عليها تامة كاملة ـــ وهى لا تحمل اسم مؤلفها ،(١) ولا تشير اليه ، وقد تختلف الدواعى لمثل ذلك لكنا على أى حال نستفيد من هذا المخطوط طالما لم يسلك صاحبه مسلكا غير علمى وغير سليم ، وقد طبع بعض هذه المخطوطات وأشير فيها الى عدم معرفة صاحبه •

٣ ـــ ومن المخطوط ماحمل اسما ليس لمؤلفه(٢) ، وقد يكون ذلك عن لبس واشكال ، ففى كلمة للأستاذ على الطنطاوى ـــ فى مقدمته على صيد الخاطر لابن الجوزى ـــ بين سيادته آن كتاب « أخبار النساء

(١) من ذلك رسائل « اخوان الصفا » ، ويدعى القفطى انه توصل الى معرفة اصحابها راجع للقفطى اخبار العلماء باخبار الحكماء ومثال لذلك أيضا :ألف ليلة وليلة •

(٢) يقال : ان منها (نقد النثر) منسوب لقدامة ابن جعفر ، ومنها (التاج) منسوب للجاحظ ، والامامة والسياسة) منسوب لابن قتيبة •وكثر غير ذلك •

ليس لابن قيم الجوزية ، وكان هذا الكتاب قد طبع فعلا فى مصر سنة ١٣١٩ وحمل اسم ابن القيم بدل اسم مؤلفه الحقيقى الامام ابن الجوزى البغدادى(١)

وقد يكون هذا العمل عن عمد • على أى حال لسنا نملك ـــ دائما ـــ الدليل على حسن النية من وراء ذلك ، فقد كان لبعض الخلافات آثار سيئة على الجانب العلمى ، ونحمد الله ـــ سبحانه أنها كانت طفيفة •

ولقد أثار الدكتور على سامى النشار ـــ رحمه الله ـــ ضجة أدبية كبرى حين أدلى عن دراسة له بأن كتاب : « تحرير المرأة » ليس لقاسم أمين ، وأن النقد الداخلى لمادة الكتاب تنسبه لامام كبير كان معروفا فى العقود الأولى للقرن العشرين ، ونشرت ذلك « آخر ساعة » فى حينه •

وبمواصلة البحث العلمى تظهر حقائق الأمور فى أحوال كثيرة •

٤ ـــ ومثل هذه الأحوال غير المتوقعة حدث أيضا لبعض المخطوطات فى عناوينها ، فحال العنوان وانطمس نتيجة عوامل الزمن ، أو ضاع بضياع

(١) انظر لابن الجوزى صيد الخاطر ص ٢٦ دار الفكر دمشق ١٣٩٩ •

الورقة الأولى من المخطوط ، وثمة أحوال أخرى بدل فيها العنوان بآخر نتيجة جهل من قارىء أو تزييف كما يقول الأستاذ عبد السلام هرون ص (٣٠) •

صحة المادة وتوثيقاتها :

درج المؤلفون — بصورة عامة — على ايداع مؤلفاتهم عبارات تدل — فى وضوح — على اقرارهم للمخطوط فى صورته النهائية التى ارتضوها ، وذلك بأن يضع توقيعه عليه ، أو يحمل المخطوط عبارة تدل على تصحيح المؤلف للنسخة ، أو اجازته لها بأن يحمل النسخة عبارة من المؤلف تدل على صحتها بهذه الصورة ، أو يدون عليها الناسخ مايدل على (سماعه) لمادتها ، وصحة مافيها •• الخ •

الى غير ذلك من دلالة أو أكثر على صحة مادة المخطوط •

درج المؤلفون — بصورة عامة — على ايداع مؤلفاتهم عمارات تدل — فى وضوح —

ومن هنا يمكننا أمام النسخ الكثيرة من كتابة المؤلف أو املائه أن نعتبر النسخة الأم ، أى النسخة الأصلية التى نطمئن اليها تماما هى النسخة التى عرفها شيخ

المحققين المعاصرين عبد السلام هرون — أمد الله فى عمره ، قال :

« أعلى النصوص هى المخطوطات التى وصلت الينا حاملة عنوان الكتاب ، واسم مؤلفه ، وجميع مادة الكتاب على آخر صورة رسمها المؤلف وكتبها بنفسه ، أو يكون قد أشار بكتابتها ، أو أملاها ، أو أجازها ، ويكون فى النسخة — مع ذلك • مايفيد اطلاعه عليها ، أو اقراره لها ••• »

وأمثال هذه النسخ تسمى النسخة الأم •

ومسودة المؤلف — ان ورد نص تاريخي على أنه لم يخرج غيرها كانت هى الأصل الأول (١) — مثال ذلك ماذكره ابن النديم من أن ابن دريد صنع (كتاب أدب الكاتب) على مثال كتاب ابن قتيبة ، ولم يجرده من المسودة •

وان لم يرد نص (يثبت أو ينفى أنه كتب غيرها(٢)) كانت فى مرتبة النصوص الأولى ، مالم تعارضها

(١) أى النسخة الام •

(٢) ما بين القوسين المربعين زيادات للتوضيح ليست بالاصل أى النسخة المسودة •

المبيضة (بأن عثر عليها) فانها تجبها بلا ريب (١) .

ويلى النسخة الأم النسخ الثانوية وأولها ما أخذ عن الأم ثم فرعها ثم فرع فرعها الخ (٢) .

النســـــخ :

وله معـــان منهـــا :

نسخ الشيء : أزاله ، ومنه : نسخ الله الآية : أزال حكمها .

ونسخ الكتاب : نقله وكتبه حرفا حرفا ، وانتسخ الكتاب مثله ، واستنسخه : طلب نسخه .

والناسخ من صنعته نسخ الكتاب (٣) .

ونسخ الكتاب هو الذى نريد فى دراستنا للمخطوط وهو : « **أن ينقل انسان ما — من مخطوط أو غيره — مادته فيخطها فى صحف أخرى حرفا حرفا** » .

والناســخ أو الناقل يمكن أن يكون من تلاميذ المؤلف نقل عن نسخة للمؤلف ، أو من تلاميذ تلاميذه ،

---

(١) انظر عبد السلام هرون ص ٢٧ — ٣٠ — ٣١ .
(٢) راجع نفس المصدر ص ٢٧ .
(٣) راجع المادة فى المعجم الوسيط وغيره .

أو عالم له قدم راســخة فى المادة قد يكون صــديقا للمؤلف معاصرا له ، أو يكون من غير المعاصرين .. ، أو يكون من المحترفين ، وهم الوراقون ... أو كاتب أمره المؤلف بنسخ كتابه .

والمنســوخ منــه : اما نسخة المؤلف التى حملت توقيعه ، أو نسخة لتلميذ له ، أو لزميل ممن عاصر الشيخ وحملت النسخة اجازته ، أو نسخة لعالم قريب من عصر الشيخ صحح النسخة وقابلها على أصــل معتمــد ، أو نســخة بعيــدة عن عصر المؤلف وثقت بسماعات أو اجازات ... الخ .

ويهمنا فى هذا الفصل أن نتحدث عن نسخ التلاميذ والعلماء دون الوراقين ، فالواقع أن نسخ هؤلاء غير نسخ هؤلاء ، فتلميذ الشيخ أو العالم يحرص — اذا نسخ — أن يستمد من الشيخ أو من نسخة أصــلية موثقة .

جــاء فى « مناهج المسلمين فى البحث العلمى » اروزنتـــال :

« وكان العالم المسلم يعلم أن هناك مخطوطــات أقرب الى النص الأصيل من غيرها من المخطوطات ، ولذلك كانوا يحرصون على الحصول على أوثق النسخ لاستنساخها » .

وكثيرا ما أشار العلماء المسلمون الى وجود مخطوطات تحمل تواقيع مصنفيها من العلماء المشهورين ، والأماكن التى توجد فيها ، وبعض هذه المخطوطات وصل الينا مما يدل على أن العالم المسلم كان يفوق زميله العالم الغربى فى تقدير قيمة المخطوطة التى تحمل توقيع مؤلفها . أ هـ (١) .

وكان علماؤنا — رضوان الله عليهم — يعلمون أن المؤلف قد تكون له أكثر من نسخة ، كل منها حمل توقيعه ، وأن بعضها يتقدم بعضا ، وأنها قد تزيد فيما بينها ، فكانوا يحرصون على النظر فى أكثر من نسخة حتى يصلوا الى المستوى الذى أراده المؤلف أو يقاربونه للغاية .

وكانوا الى جانب ذلك ربما لفقوا بين نسخ عدة اذا وقع فى بعضها قطع أو ألمت به عادية ... كل ذلك من أجل الوصول الى مستوى رفيع يعطينا أدق صورة لما كتب المؤلف أو يقاربونها .

وهم فى ذلك كله يمعنون النظر فى التوقيعات التى حملتها النسخ وتاريخها ويتبينون خطوط العلماء

---

(١) روزنتال ص ٦٣ ، ٦٤

الموقعين من الناسخين والمؤلفين ، ففى هذه الأحوال جميعا دراسة توثق نسبة المخطوط لصاحبه من جهة وسلامة المادة العلمية من جهة أخرى .

وعلى ضوء هذه الدراسات يمكن أيضا أن يطمئنوا الى نسخة أصح متنا وأكمل مادة ، ولو لم تحمل توقيعا ، لأن ما بأيديهم من نسخ أخرى طابقها دليل على صحتها (١) .

آداب النسخ : —

ولقد كان بين هؤلاء القوم من العلماء وصالحى التلاميذ آداب مرعية متوارثة ، ولا أدل على ذلك من كثرة ما كتب فى هذه الآداب والحض عليها حتى وجدنا من المؤلفين من يتصدى لوضع قواعدها وبيانها فى كتاب ، بعد أن كانت شذرات هنا وهناك ، فكتب بعضها الخطيب البغدادى ثم كتب فيها ابن جماعة (٢) والامام النووى وعياض وابن الصلاح وغيرهم (٣)

---

(١) راجع عبد السلام هرون ص ٣٥ .

(٢) وله « تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم ألفه عام ١٢٧٣ م .

(٣) منهم البدر الغزى وله كتاب « الدرة النفية » توفى عام ١٥٧٧ م والحسين بن القاسم المنصور اليمنى وله « كتاب فى آداب العلماء والمتعلمين » توفى سنة ١٦٤٠ م .

وقد استفاد من ذلك العلامة عبد الباسط بن موسى بن محمد العلموى المتوفى فى دمشق (٩٨١ هـ/١٥٧٣ م) فوضع كتابه (المعيد فى أدب المفيد والمستفيد ووفر فيه القول فيما يخص آداب الناسخ ويعتبر كتابا ابن جماعة والعلموى قمة ماكتب فى هذا الموضوع حتى أشار مرجليوث على الغربيين بالتلمذة عليهما ان أرادوا الأمانة قال :

« انه لامجال للشك فى قيمة هذين المؤلفين لمن ينشد الدقة والأمانة (١) » .

وقد تناول العلموى بالتفصيل الحديث عن الكتاب : نسخه وتصحيحه واستعارته ، وترتيب وضعه مع غيره (٢) ، ومسائل كثيرة تتعلق به حتى القلم أداة الكتابة خصه بحديث ، ثم تحدث عما يجب على الناسخ بعد نسخه من وجوب المقابلة بين ماكتب وما نقل حتى يطمئن الى الصحة ، وجعل الكتاب مسائل ، رقمها بالمسألة الأولى والثانية ... الخ .

---

(١) روزنتال ص ٢٩ .

(٢) فبين كيف يوضع كتاب فوق آخر اذا اجتمع — مثلا — القرآن الكريم ، والحديث والتفسير الخ .

آداب النسخ :

وجاء فى المسألة الرابعة — آداب النسخ ، وذلك حيث يقول :

« اذا نسخ (١) شيئا من كتب العلم الشرعية ،

فينبغى أن يكون على طهارة ، مستقبل القبلة طاهر البدن والثياب والحبر والورق ، ويبتدىء كل كتاب بكتابة : « بسم الله الرحمن الرحيم » وان كان مصنفه تركها كتابة فليكتبها هو ، ثم ايكتب : قال الشيخ ، أو قال المصنف ، ثم يشرع فى كتابة ما صنفه المصنف .

واذا فرغ من كتابة الكتاب ، أو الجزء فليختم الكتابة بالحمد له ، والصلاة على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وليختم بقوله :

آخر الجزء الأول ، أو الثانى — مثلا — ويتلوه كذا وكذا ان لم يكن أكمل الكتاب ، فان أكمله فليقل : تم الكتاب الفلانى ، ففى ذلك فوائد كثيرة .

وكلما كتب اسم الله — تعالى — أتبعه بالتعظيم

---

(١) أى الناسخ .

مثل : تعالى ، أو سبحانه ، أو عز وجل ، أو تقدس ، أو تبارك ، ويتلفظ بذلك .

وكلما كتب اسم النبى — صلى الله عليه وسلم — كتب بعده الصلاة عليه والسلام(١) وجرت عادة السلف والخلف بكتابة — صلى الله عليه وسلم — ولعل ذلك لموافقة الأمر فى الكتاب العزيز فى قوله : صلوا عليه وسلموا تسليما)(٢) ولايختصر الصلاة فى الكتابة ، ولايسأم من تكريرها (٣) كما يفعله بعض المحرومين من كتابة (صلعم) أو (صلم) أو (صم) أو (صلسم) فان ذلك مكروه كما قال العراقى .

ويقال :

ان أول من كتب (صلعم) قطعت يده .

واعلم أن كتابة الصلاة بكاملها عظيم ، وهو من أكبر الفوائد العاجلة .

واذا مر بذكر أحد من الصحابة كتب : رضى الله

(١) ويقول ابن جماعة بكتابه ص ١٧٦ « ويصلى هو عليه بلسانه أيضا ، أى أثناء نسخه » .

(٢) الآية من الاحزاب رقم ٥٦ ومابين القوسين تتمة لها ليست بالاصل .

(٣) عند ابن جماعة ص ١٧٦ « ولو وقعت فى السطر مرارا » .

عنه ، أو رضوان الله عليه ، أو مر بذكر أحد من الأئمة — لاسيما الأعلام وهداة الاسلام — كتب : (رحمه الله) أو (رحمة الله عليه) ، أو (تغمده الله برحمته) .

ولايكتب (الصلاة والسلام) لغير الانبياء والملائكة .... تبعا لاختصاص ذلك عرفا وشرعا بالأنبياء والملائكة عليهم السلام ، ومتى سقط من ذلك شىء فلا يتقيد به ، بل يثبته مع النطق به .....

وافراد الصلاة عن السلام مكروه وعكسه كذلك كما قال النووى .

الخط والقلم :

وجعل المسألة الخامسة فى الخط والقلم قال :

المسألة الخامسة :

لايهتم المشتغل بالمبالغة فى حسن الخط ، وانما يهتم بصحته وتصحيحه ، ويجتنب (التعليق) وهو : خلط الحروف التى ينبغى تفرقتها (١) .

(١) الحروف التى ينبغى تفرقتها مثل (د — ز — ر — ذ — و) فانها لا تتصل بما بعدها فلا يطيل أواخرها الى أعلى فتشتبك بما بعدها ويؤدى ذلك الى اللبس .

و (المشق) وهو سرعة الكتابة مع بعثرة الحروف قال عمر ـ رضى الله عنه : شر الكتابة المشق ، وشر القراءة الهدرمة (١) ، وأجود الخط أبينه .

ولايكتب الكتابة الدقيقة لأنه ربما لم ينتفع(١) به وقت حاجة الانتفاع به من كبر وضعف بصر . ثم محله (٣) فيمن عجز عن ثمن ورق ، أو حمله فى سفر فيكون معه خفيف المحمل فلا كراهة فى ذلك ، ولا منع للعذر ، والكتابة بالحبر أولى من المداد (٤) .

وينبغى ألا يكون القلم صلبا جدا فيمنع سرعة الجرى ، ولا رخوا ، فيسرع اليه الحفى (٥) .

قال بعضهم : اذا أردت أن تجود خطك فأطل جلفتك (٦) وأسمنها وحرف قطتك وأيمنها (٧) .

---

(١) الاسراع فى القراءة بلا تدبر للمعانى .
(٢) كذا . يريد ـ والله أعلم ـ (المكتوب) .
(٣) أى محل الدقيق من الكتابة .
(٤) فى الوسيط المداد : سائل يكتب به ، ويبدو انه اى سائل يكتب به ، وقد لا يثبت للزمن كثيرا كالحبر
(٥) الرقة فيفسد سريعا .
(٦) الجلفة ـ هنا : المسافة من مبرى القلم الى سنه .
(٧) تكون القطة مائلة الى اليمين فى حال البرى : فاذا أمسكت به الكتابة صارت يسارا .

ولتكن السكين حادة جدا لبراية الأقلام ، وكشط الورق ولاتستعمل فى غير ذلك .

وليكن مايقط عليه القلم صلبا : وهم يحمدون القصب الفارسى جدا والأبنوس (١) الصلب الصقيل . أ هـ .

آداب الكتابة :

وذكر فى المسألة السادسة شيئا من آداب الكتابة : قال .

المسألة السادسة :

كرهوا فى الكتابة فصل مضاف اسم الله تعالى منه كـ : (عبد الله ـ أو عبد الرحمن) أو (رسول الله) فلا يكتب عبد ، أو رسول آخر السطر ، والله أو الرحمن ... أول السطر الآخر (أى التالى) لقبح صورة الكتابة .

المعارضة :

وذكر مايجب عليه ازاء ماكتب فقال :

---

(١) الابنوس ـ الابنوس : شجر ينبت فى الحبشة والهند ، خشبه أسود صلب يصنع منه بعض الادوات والأوانى والأثاث ـ دخيل فى العربية . المعجم الوسيط.

المسألة السابعة :

عليه مقابلة كتابه (١) بأصل صحيح موثوق به ، فالمقابلة متعينة للكتاب الذى يرام النفع به •

قال عروة بن الزبير لابنه هشام — رضى الله عنهما : كتبت ؟ قال : نعم • قال : عرضت كتابك ؟ أى على أصل صحيح • قال : لا •

قال : لم تكتب •

وقال الامام الشافعى ، ويحيى بن كثير :

« من كتب ولم يعارض ، أى يقابل ، كمن دخل الخلاء ولم يستنج » •

واذا صحح الكتاب بالمقابلة على أصل صحيح ، أو على شيخ ، فينبغى أن يعجم المعجم ويشكل المشكل ، ويضبط الملتبس ، ويتفقد مواضع التصحيف (٢) •

أما مايفهم بلا نقط ولا شكل فلا يعتنى به لعدم الفائدة •••• وقيل : ينبغى الاعجام والشكل للمكتوب كله : المشكل وغيره لأجل المبتدىء فى ذلك الفن ، وصوبه القاضى عياض ، لأن المبتدىء لايميز مايشكل مما لايشكل ، ولا صواب الاعراب من خطئه ، ولأنه

(١) أى على الناسخ أن يقابل ما كتبه •• الخ •
(٢) سيأتى بيانه مفصلا •

ربما يكون الشىء واضحا عند قوم مشكلا عند آخرين بل ربما يظن لبراعته المشكل واضحا ، ثم قد يشكل عليه بعد •

واذا احتاج الى ضبط المشكل فى الكتاب وبيانه فى الحاشية (١) قبالته فعل ، لأن الجمع بينهما أبلغ فى الابانة •

واذا كتب كلمة مشكلة من القلم لسواد كثير فيه ، ونحوه ، أوضحها فى الحاشية ، وكتب فوقها (بيان) أو (ن) وله أن يكتبها فى الحاشية ، بصورتها ، وله أن يكتبها مقطعة الأحرف بالضبط ليأمن اللبس والاشتباه وله أن يضبطها بالحروف كقوله : بالحاء المهملة والدال المهملة والتاء المثناة ، والثاء المثلثة ونحو ذلك » •

الترقيم :

المسألة الثامنة :

ينبغى أن يكتب على ما صححه وضبطه فى الكتاب — وهو فى محل شك عند مطالعته ، أو تطرق احتمال — (صح) صغيرة • ويكتب فوق ما وقع فى التصنيف (٣)

(١) لاحظ أن الحاشية فى المخطوطات غالبا ماتكون بهامش الصفحة الفارغ لا أسفلها كما هى فى المطبوع •
(٢) التصنيف هو متن المخطوط الذى ينقل منه •

أو فى النسخ وهو خطأ (كذا) صغيرة ، أى هكذا رأيته ويكتب فى الحاشية « صوابه كذا » ان كان يتحققه ، أو « لعله كذا » ان غلب على ظنه أنه كذلك •

أو يكتب على ماأشكل عليه ولم يظهر له وجه(١) (ضبة) وهى صورة رأس (صاد) مهملة مختصرة من (صح) هكذا (صـ) فان صح بعد ذلك وتحققه فيصلها بحاء فتبقى (صح) والا كتب الصواب فى الحاشية كما تقدم •

قيل : وأشاروا بكتابة الصاد أولا الى أن الصحة لم تكمل ، والى تنبيه الناظر (٢) فيه على أنه متثبت فى نقله غير غافل فلا يظن أنه غلط فيصلحه •

والله أعلم »(٣) اهـ •

ولم تكن الدقة والعناية وقفا على تدوين العلوم الشرعية ، وانما كان ذلك طابع العلماء المسلمين فى مختلف العلوم والفنون ، فان الامر مبناه الامانة وهى صفة لاتتجزأ ، كما أن نظرة العلماء المسلمين كانت ترى أن توفر الامانة فى تدوين أى علم هو — فى ذاته — خدمة للكتاب العزيز والسنة المطهرة •

---

(١) أى لم يتبين صحته •

(٢) أى فى النسخة التى يكتبها الناقل ، والضمير المذكر يعود على الكتاب المنسوخ •

(٣) قارن بـ (روزنتال) ص ٣٦ — ٤٤ •

الفصل الثالث

الوراقون — عيوب المخطوط وتلافيها

الوراقون

وهم محترفو النسخ بأجر ، وكانت لهم أماكن معروفة فى العواصم الاسلامية وغيرها ، يقصدها العلماء وطلاب العلم يستنسخون الوراقين مايريدون من كتب العلم مقابل أجر •

ومن الانصاف أن نقول :

أن بعض العلماء كان وراقا انطلاقا من فاقته مثل أبى حيان التوحيدى ، احترف الوراقة ليسد حاجته، بل ان الفاقة دفعت أحمد بن محمد بن المعتصم بن هرون الرشيد الذى صار خليفة فيما بعد ، وسمى « المستعين بالله » عام ٢٤٨ هـ •• دفعته الفاقة الى أن يرتزق بالوراقة (١) ، كذلك كان من طلبة العلم

---

(١) أنظر لابى حيان التوحيدى — الامتاع والمؤانسة ١/٤ دار مكتبة الحياة ، وراجع المنقول بحاشية ص ٩٦ بكتاب أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزى نشر مكتبة الغزالى • نقلا عن تاريخ اليعقوبى ٢/٤٩٤ ، ٤٩٩ ووفيات الأعيان ١/٦٨ •

من عمل وراقا للسبب نفسه ، ولسنا نشك فى أمانة هؤلاء ، وكذلك لانتهم كل الوراقين بتجاوز الامانة والدقة فيما استنسخوا ، حرصا منهم على الدين ، ورغبة فى الكسب الطيب ، وعندنا أكثر من دليل — أشار اليه روزنتال — ووجد على نسخ مخطوطه حملت عبارات من النساخ تدل على أنهم استسرعوا فى أداء النسخ ، أو كتبوا أنهم لم يستطيعوا أن يعلموا كذا أو كذا من العبارة .. الخ ، ففى أغلبهم أمانة تمنعه أن يتعمد الخطأ ، أو يجاوزه الى ما هو أشنع من (الدس) فى النص ، أو (التحريف) فيه أو (حشوه) بما المؤلف منه براء .

وكم كان مثل ذلك يسيرا على من سولت له نفسه أمثال هذه الأعمال استخفافا بالأمانة ، أو كراهية للاسلام والمسلمين ، وكم من اسرائيليات أقحمت على ما سطر العلماء ، وصارت — مع الزمن — جزءا من التراث الاسلامى ، وكان فقدان (النسخة الام) سبيلا الى انعدام المعارضة ، وبيان الأصيل المقحم فى المنسوخ .

ثم ان الفارق كبير بين ناسخ عالم ينسخ مخطوطة فيها من العلم ماهو متخصص فيه ، وآخر انما هو مجرد قارىء ينقل دون أن يتعمق علم ماينقله ، وقد

يؤدى ذلك الى بعض الأخطاء ، وقد تكون جسيمة على الرغم من براءة خلفيتها من التهمة .

وهذا يدلنا على أن نقل العالم ، ولاسيما المتخصص ، له أثره الجليل فى صحة النص وتقديم الصحيح تماما أو الأقرب جدا الى الصحة .

فاما الوراقة فقد كانت ميدانا يلجه من شاء على ما كان عليه من مستوى فى العلم أو القراءة أو الكتابة ، أو الخلق مع ذلك كله ، وأشار الأستاذ عبد السلام هرون الى وراقين دخلوا ميدان التأليف ، ولم يكونوا من العلماء ، ورأوا حب الناس للاسماء والحكايات فجمعوا منها ما اتفق وأعدوا منها كتبا للناس ، واستنسخوها لهم ، ولم تكن تخلو من كذب وتلفيق (١) .

ودخل ميدان الوراقة غير المسلمين :

ذكر ابن النديم فى (الفهرست) ، والأستاذ عبد السلام هرون أن يحيى بن عدى النصرانى كان ينسخ التفسير والكلام (٢) .

---

(١) راجع عبد السلام هرون ص ٢٣ .

(٢) نفس المرجع ص ٢٠ وانظر لابن النديم — الفهرست ص ٣٦٩ المطبعة الرحمانية .

فى ضوء ذلك كله ترى أن من الوراقين من كـان كارثة على التراث الاسلامى العربى ، وأنهم لسبب أو أكثر تلاعبوا ببعض المخطوطات وشوهوا مادتها .

ولنذكر لك مثالا لهذا التشويه ورد بنسخة من كتاب (الكامل فى التاريخ لابن الاثير) ، فقد أقحم فيه حوار اختلق على لسان عمرو لبن عباس — رضى الله عنهم ، وفيه أن عمر قال :

« يابن عبـاس ، أتدرى مامنع قومكم منكم بعد محمد — صلى الله عليه وسلم — فكرهت أن أجيبه ، فقلت : ان لم أكن أدرى ، فان أمـير المـؤمنين يدرينى » .

فقال عمر : كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا (١) على قومكم بجحا بجحا ، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت فقلت : يا أمير المؤمنين أن تأذن لى فى الكلام (٢) وتمط عنى الغضب تكلمت؟ قال : تكلم . قال : أما قولك يا أمـير المؤمنين : اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت ، فلو أن قريشا اختارت لأنفسها حيث اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ، ولا محسود .

---

(١) فخروا وتباهوا .

(٢) من أماط يميط أى أزال يزيل .

وأمـا قولك : أنهم أبوا أن تكون لنـا النبـوة والخلافة ، فان الله — عز وجل — وصف قـوما بالكراهة فقال : (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل اللـه فأحبط أعمالهم) (١) .

فقال عمر : هيهات والله يا ابن عباس قد كانت تبلغنى عنك أشياء كنت أكره أن أترك عليها لتزيل منزلتك منى ، فقلت : ماهى يا أمير المؤمنين : فـان كانت حقا فما ينبغى أن تزيل منزلتى منـك ، وان كانت باطلا فمثلى أماط الباطل عن نفسه ؟ فقـال عمر : بلغنى أنك تقول : انما صرفوها عنك حسـدا وبغيا وظلما فقلت : أماقولك يا أمير المؤمنين : ظلما فقد تبين للجاهل (٢) والحليم ، وأما قولك : حسدا ، فان آدم حسد ونحن ولده المحسودون ، فقـال عمر : هيهات هيهات : أبت — والله — قلوبكـم ، يابنى هاشم ، الا حسدا مايحول (٣) وضغنا وغشا لا يزول . فقلت : مهلا — يا أمير المؤمنين ، لا تصف قوما أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهـيرا

---

(١) سورة محمد (صـلى الله عليه وسـلم) — الآيـة ٩ .

(٢) الجاهل هنا ضد الحليم .

(٣) ما يتحرك ويزول .

بالحسد والغش ، فان قلب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قلوب بنى هاشم ، فقال عمر : اليك عنى يا ابن عباس ، فقلت : أفعل ، فلما ذهبت أقوم استحيا منى ، فقال : يا ابن عباس مكانك ، فوالله انى لراع لحقك محب لما سرك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ان لى عليك حقا وعلى كل مسلم ، فمن حفظه أصاب ، ومن أضاعه فحظه أخطأ . ثم قام فمضى) (١) أ هـ .

والقصة برمتها ليست (بأصل) لابن الاثير فهى مدسوسة ، دسها ناسخ ووضعها (زيادة) فى (الكامل لابن الاثير) ثم هى فوق ذلك ـ فى سندها مجهول يعزوها الى عكرمة فهى من الموضوعات ، ولم يتردد بعض المحققين أن يرمى فاعلها باللعنة (٢) ، فان ابن عباس رضى الله عنه كان بعيدا عن تيارات السياسة قريبا من عمر محبا له ، وهو واحد من القلة التى لازمت عمر حتى مات ، ثم ماكان عمر فى دينه وورعه وعدله يتفوه بمثل هذه الألفاظ .

---

(١) الامام ابو الحسن على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباتى المعروف بابن الاثير الكامل فى التاريخ ٣/٣٣ ، ٣٤ .

(٢) قارن بالطبعة اللبنانية للكتاب .

وأغلب الظن أن واضعها ممن يكرهون عمر . ويريد أن ينال منه فى دينه لكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شهد لعمر بكمال الدين . قال عليه الصلاة والسلام (بينما أنا نائم رأيت الناس عرضوا على وعليهم قمص فمنها مايبلغ الثدى ، ومنها مايبلغ دون ذلك وعرض على عمر وعليه قميص اجتره .

قالوا : فما أولته يارسول الله ؟ . قال : الدين .

وأشار عليه الصلاة والسلام الى استشهاده وبشره بالجنة (١) . فمثله لاينال من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو برىء من هذا الخبر براءة ابن عباس منه ـ رضى الله عنهم ـ .

وكما حدثت الزيادة حدث (النقص) فى مادة الكتاب ، وهذان مثالان له ـ يبدو أن السبب فيهما راجع الى أن (الناسخ) لم ينظر فى أكثر من نسخة من الكتاب والله أعلم . ذكر الامام أحمد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ حديثين ذوى مضمون واحد هو أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين دخل

---

(١) راجع صحيح البخارى باب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

المدينة مهاجرا وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسأل عن صيامهم فأخبر بأن هذا يوم صامه موسى وأنه اليوم الذى استوت فيه السفينة على الجودى فصامه نوح — أى شكرا لله من كل منهما • « هذا مضمون الحديث » •

وروى الحديث أبو هريرة ، ورواه ابن عباس — رضى الله عنهم ، واستشهد بالروايتين — نصا — ابن حجر رضى الله عنه فى شرحه « فتح البارى » باب (صيام عاشوراء) وبالرجوع الى المصــدر الأصلى — أعنى مسند الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه وجدت (الحديث) فى مسند أبى هريرة ، وأخذت فى البحث عن رواية ابن عباس فى مسند ابن عباس بمسند أحمد فلم نعثر عليه مع أنه المصــدر الاصلى للرواية مما يدل على أن نسخة الامام ابن حجر كانت دقيقة والامر كذلك فى كتاب (الزهد) للامام ابن حنبل فان المطبــوع منه ينقص بعض الأحاديث •

ولسنا نشك أيضا فى أن العجز الانسانى قــد يتسبب فى النقص فقد يحدث نتيجة (سبق العين) حال نقل الناسخ أن تكون كلمة أو جملة بعينهـا الى احداها مقدمة أو مؤخرة فيحــدث نقص فى

مكررة فى الأصل بأكثر من سطر فتسبق عين الناسخ المنسوخ حال التقدم ، وتكرار حال التأخر •

لكن الناســخ الأمين اذا قرن نسخه بأكثر مـن نسخة للمؤلف ثم انتهى الى معارضة ماكتب ، فانه قمين بالظفر بنسخ سليم •

ونضيف الى ماتقدم مايحدث للمخطــوط من عوامل طبيعية تتسبب بدورها فى النيل منه •

عيوب المخطوط بين يدى النقد :

ليس أمة فى الارض تملك من المخطوطات مايملكه المسلمون ، ولقد مرت هذه المخطوطات بعــوامل عــدة :

عوامل أنيطت بالزمان ، وأخرى بالمكان ، وثالثة بالانسان ، وكل ترك ببعض المخطوط عيوبا حتى اذا ظهر عهد الطباعة تولد بجانبها عيوب أخر تؤكد لنا دائما أن « الأمانة والدقة » ان لم يتوفرا لكــل مخطوط بقدر مالدى الانسان من طاقة ونزاهة ، فان المخطوط يقع فريسة للعبث ، فاذا تناوله — من بعد — من لم يدرك هذه الرحلة فانه ينزل سخطه بالمؤلف وهو فى معظم الأحوال برىء •• برىء وانما أســاء للكتاب عمدا أو جهلا انسان تناول الكتاب من بعــد

مؤلفه وتجنب بقدر ما يستطيع شيئا من شرف النفس ونزاهة الامانة وحفظ العلم ، ووضع نفسه فى غير موضعها الصحيح ، فجعل من المادة العلمية مسرحا لمراحه انتهى بالكتاب الى التشويه .

هذه الحقيقة تطالبنا — فى ميدان النقد خاصة — بمزيد من التريث حتى لاننضم — دون شعور منا — الى نفس الصف الذى أساء للمؤلف بالتلاعب فى كتابه .

ثم بعد :

فان عيوب المخطوط — تفصيلا — بقدر الامكان .

(أ) جهل الناسخ بمادة المخطوط لعدم تخصصه فيها .

(ب) ضعف الناسخ فى مادتى القراءة والكتابة .

(حـ) خط الناسخ والمداد .

(هـ) عوادى الزمان والمكان .

والعثور على النسخة الأم أو ما يحل محلها يمكن أن يخلصنا من أكثر المشاكل ، فمما لا شك فيه أن أعظم العيوب فى هذا الميدان هو فى :

فقدان النسخة الأم للمخطوط .

فاذا عثرنا على مخطوط ، ولم يكن هو النسخة الأم أو مايحل محلها . بأن لم يكن واحدا من النسخ

التالية :

مبيضة المؤلف ، أو مسودته ، أو نسخة حملت توقيعه ، حملت سماعا منه أو اجازة له . وهى نسخ — كما سبق — أن علمت — يحل تاليها محل سابقها اذا لم يوجد ، فان قارىء المخطوط حينئذ أمام عقبة ان لم تكن عقبات ، وقد يعوضه عن هذا الفقدان أن يجد نسخة ثانوية لهذا المخطوط أو أكثر كتبت فى عصر المؤلف أو بعده (١) . وقد يكون فى وجود نسخة ثانية وثالثة حل للاشكال .

كذلك جهل الناسخ بالمادة العلمية للمخطوط ، أو ضعفه فى مادتى القراءة والكتابة قد يكون هذا أو ذاك سببا مباشرا فى ظهور عيوب بالمخطوط تعوق قراءته ، قال أبو العلاء المعرى :

« انما أغلق شعر الطائى (يقصد أبا تمام حبيب ابن أوس الطائى) أنه لم يؤثر عنه فتناقلته الضعفة من الرواة ، والجهلة من الناسخين ، فبدلوا الحركة

---

(١) تحمل المخطوطات عادة عبارات تدل صياغتها على الكتابة فى حياة المؤلف أو بعدها مثل (قال المصنف أطال الله حياته ، أو مد الله فى عمره ، أو أدام الله عزه) وما الى ذلك — بينما تدل عبارة مثل (تغمده الله برحمته ، جعل الجنة مثواه) على وفاته وهذا أمر معروف أشار اليه روزنتال .

وغيروا بعض الاحرف بسوء التصحيف » (١) .

وهكذا كان جهل الناسخ بالمادة ، وضعفه فى القراءة والكتابة أسبابا مباشرة فى ظهور عيوب بالمخطوط ترجع الى :

التحريف (٢) والتصحيف (٣)، والنقص (٤) ، والادراج (٥) . وتداخل العبارات ، وترك بياض ، والتقديم والتأخير فى الجمل أو الفصول ، فكان – من ذلك – عوائق أمام القارىء والدارس .

عيوب لايمكن أن تقع من المؤلف الا فى (ترك بياض) فقط أحيانا ليعود اليه فيتمه وهو مطمئن ، فأما ماعدا ذلك فلا سبيل الى وقوع المؤلف فيه .

---

(١) انظر لمصطفى بن عبد الله (حاجى خليفة) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ١ / ٧٧٠ .

(٢) التحريف : تغير فى معنى الكلمة ينشأ عن تغير فى شكل رسم الحرف كرسم الراء دالا مثل أن يكتب ناسخ (برأ) بدأ فيجعل الراء دالا لسرعة أو ضعف ، ومثلها أن يجعل النون زايا بأن لايتم استدارة النون فيكتب (عجن) عجز .. وهكذا الميم والقاف والدال واللام .

(٣) التصحيف : تغير فى الكلمة – بسبب النقط – مع بقاء صورة الحرف ، فهو خاص بالالتباس فى نقط الحروف المتشابهة كالباء والتاء والثاء ، والسين والشين والطاء والظاء .. الخ .

(عن الأستاذ عبد السلام هرون بتصرف) .

(٤) مر ذكره .

(٥) بأن يدخل فى النص ما ليس منه ، وغير ذلك .

ولقد تزول معظم هذه العوائق بوجود أكثر من نسخة للمخطوط يقارن بعضها ببعض ، على ألا تكون هذه النسخ كتبت عن النسخة التى تحمل نفس العيوب ، والا فلا فائدة .

ويرشدنا الأستاذ عبد السلام هرون الى أنه يمكن للباحث أن يستدل على صحة بعض الأخطاء أيضا بالنظر فى مؤلفات أخرى لنفس المصنف ، فبعض المؤلفين يكتب فى المادة أكثر من كتاب ، واحتمال أنه كرر فى مؤلف شيئا دونه فى آخر احتمال غير بعيد .

وقد يكون لمؤلف آخر نقول من الكتاب ، وعلى الباحث أن يجد فى التعرف على طلبته أو الاتصال بأساتذته أو المشرف على بحثه ، فكل ذلك سبيل معينة على التعرف بدقة على صورة النص والارشاد اليه .

وخط الناسخ ونوع المداد قد يكونان من الاسباب التى تشكل أكثر من عقبة أمام الباحث والقارىء ، فان الخط الردىء ، مثل الخط الدقيق جدا ، مثل المداد غير القوى الصبغ قوى الاحتمال فأى هذه الأمور يمكن أن يحول دون قراءة المخطوط قراءة صحيحة .

والمداد غير الجيد يحول مع الزمن حين تنصل (١) صبغته فتترك مكانها أثرا غير واضح المعالم .

وفي كل ذلك لابد من الاستعانة بأكثر من نسخة كما سبق أن وضحنا ، وبرؤية مؤلفات أخرى للمؤلف ، أو نقول نقلها عالم عنه في كتاب له .

كذلك قد تعوق العوامل الطبيعية بآثارها التي خلقها الله فتؤثر على المخطوط بسبب الرطوبة وغيرها مما يؤثر بدوره على ورق المخطوط ، فلتسرع اليه العته (٢) فتصيبه الثقوب وغيرها ، وقد يكثر ذلك بالمخطوط فيكون عائقا أمام الباحث . وقد تتسبب الرطوبة في انتفاخ الورق ، ثم تغيره ، وافساد المخطوط .

تلك أهم الآفات التي تقوم بالمخطوط وتمثل عثرات على الباحث أن يجتهد في اماطتها .

وظهرت الطباعة ، وظهر معها — في عصرنا هذا — أكثر من لون يعصف بالأمانة ، ويقضي على أشرف مجهود يبذله باحث ويسطره في كتاب فظهرت

---

(١) نصل — بابه نصر وخرج ، ومعنى نصل اللون : زال .

(٢) حشرة صغيرة جدا تنال من الورق وغيره .

مطبوعات في التفسير حذف من نصوصها الكثير .

ولقد رأيت — بعيني رأسي — في بلد عربي كتابا قدم للناس ، حذف منه بعض فصوله ، ونسي الناشر أو الطابع أن يتمم جريمته في فهرس الكتاب فاذا فهرس الكتاب يحمل اسم الفصل المبتور دون أن يوجد في الكتاب ، فكان علامة بارزة على الجريمة .

والأمر قائم في الترجمة الى العربية ، فهي تقدم — أحيانا — موافقة لهوى الناشر ورغبته دون ما اهتمام بالاصل المترجم عنه ، وماخفي من هذا البلاء أعظم .

وبعد :

فلنعد الى المخطوط :

ومهما يكن من أمر فاننا لانستطيع أن نستفيد — في معظم الأحوال — من أي مخطوط مالم تتوافر لنا منه أكثر من نسخة **نحاول أمامها أن نرتبها عن اجتهاد** وبصيرة بحيث نجعل منها (نسخة أولى) نرمز لها بالحرف (أ) مثلا ، لأنها أقدم النسخ أو أدقها ، أو لأنها تجمع بين الدقة والوضوح ، أو

لأنها من نسخ عالم •• وما الى ذلك من اعتبـارات ترجح اعتبارها نسخة أولى اذا لم تكن نسخة المؤلف بين أيدينـا •

ثم نعطى ماجمعت ميزات أقل منها الحرف (ب) والثالثة التى قلت ميزاتها عن الاثنتين الحرف (ج) وهكـذا •

ونادرا جدا مانستطيع الاعتماد على نسخة واحدة — ومع ذلك فقد كان هذا النادر مما وقـع لنا فى تحقيقنا لكتاب •

« **أقيسة النبى المصطفى محمد — صلى الله عليه** وسلم — •

فقد عثرنا على مخطوطة واحدة له بمكتبة الجامع الازهر الشريف مكونة من ثمانى عشرة ورقة ، **تجمع** تسعة وتسعين ومائة **حديث كلها فى القياس الـذى** استعمله سيدنا ومولانا محمد — صـلى الله عليه وسلم — تعليما لأمته ، وتقريبا لأحكام الفقه لهـا ، وتقريرا لهذه الأحكام — جمعها الامام ناصح الدين عبد الرحمن بن عبد الوهاب الحنبلى **الانصـارى** (١٧ من شوال ٥٥٤ هـ — ٣ من المحرم ٦٣٤ هـ) •

وبعد دراسة أحاديث الكتاب كله اتضح لنـا المنهج فكتبنا عنه ص ٦٤ قلنا :

« وقد درج الناصح — فى كتابه هذا — عـلى أن يتتبع القياس فيأخذه عن **الامام** البخارى ، ثم يأخذه هو نفسه عن الامام مسلم ، **ثم هو نفسه عن الامام** أحمد بن حنبل — رضى الله عنهم » •

فكان سهلا علينا — ومصادره الثلاثة كلهـا موجودة ، ومطبوعة ومصححة أن نعود — وزميلى الاستاذ أحمد حسن جابر رجب العضـو الفنى بمجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة — الى هـذه المصادر ، ونستخرج منها الاحاديث التى ذكرهـا المصنف ، ونعيد كتابتها مشكلة على ترتيب المصنف ونقدمها للمطبعة مع فهارس عدة تدل القارىء على بغيته من المصنف •

لكن ذلك — كما قلت — نادر ، **ولايتمكن باحث دارس ، بله المحقق** — من الاستفادة بمخطوط الا اذا تيسر له أكثر من نسخة ، فان لم يكن فلا أقل من نسختين بحال يتأكد له فيهما :

١ ــ التحقق من « عنـــــوان المخطوط »
ويساعده فى ذلك الرجوع الي المؤلفات التى عنيت بذكر التراث وأصحابه كالفهرست لابن النديم ، وكشف الظنون وغيرهما ٠

٢ ــ التحقق من اسم المؤلف ، فان كثيرا من المخطوطات لمؤلفين مختلفين تحمل عنـــــوانا واحدا ويعينه على ذلك نفس السبيل السابقة حتى يتأكد أن مخطوطا بعينه هو لمؤلف بعينه ٠

٣ ــ صحة قراة متن الكتاب بالنظر فيما بين يديه من نسخ ، وفيما للمؤلف نفسه من مؤلفات أخرى تمكنه من دراسة أسلوبه كالنظـــــر فى مؤلفات سابقة كانت مرجعا للمؤلف ، الى جانب مانقل عنه ٠

واللــه الموفــق ٠٠

والحمد لله رب العالمين

د/على الخطيب